كشف الأستار عن حقيقة الموالد والاحتفالات في ديار السنغال

فاضل انجاي

كشف الأستار عن حقيقة الموالد والاحتفالات في ديار السنغال

الحمدُ للهِ الذي بعثَ خيرَ البريّة رحمةً للعالمين، وجعلَ اتّباعَه برهانًا على صدق المحبين، وزادًا للأتقياء العاملين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادةً أرجو بها النجاة يوم الدين، وأشهد أن محمدًا عبدُه ورسولُه، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه الغُرِّ الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

اعلم رحمني الله وإيّاك، أنّ الله تعالى قد أكمل لنا هذا الدين في يومٍ مشهود، وأتمّ علينا النعمة في محفلٍ معلوم، وارتضى لنا الإسلام شريعةً خالدةً في كتابه المحفوظ، إذ يقول سبحانه:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3]

ومن تمام هذه النعمة أن بلّغ النبي ﷺ — وهو الرحمة المهداة — أمّتَه كلَّ ما تحتاج إليه بطريق مبين، وحذّرها من سلوك مسالك الابتداع في الدين، فقال في أحاديث بالألسن مشهورة، و في كتب الصحاح منقولة: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»[1] : «...كل بدعة ضلالة...»[2]

ولكن مما يُدمي القلب، ويُحزن الفؤاد، ويُثير العجب أن تظهر

1 أخرجه البخاري (2697)، ومسلم (1718)من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنه

2 أخرجه مسلم (867)من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه

في الأمة المحمدية مع تقادم الزمان بدعٌ كثيرةٌ، زُيِّنت للناس من الشيطان، ونُسبت إلى هذا الدين زُورًا وبهتانًا. ومن تلك البدع: الاحتفال بمولد النبي ﷺ، الذي لم يكن له أثر عند السلف الصالح ولا في القرون المفضلة، باتفاق أهل العلم. وقد عمّت هذه المحدثة بلادًا شتى من ديار المسلمين، وكان للسنغال منها نصيب، حيث اتُّخذ المولد موسمًا سنويًّا في شهر ربيع الأول، تُقام فيه التجمعات والاحتفالات، وتُمارَس فيه أعمال بعيدة عن هدي النبي الكريم ﷺ.

ولما رأيت أن هذه الظاهرة أخذت بُعدًا دينيًا واجتماعيًا واسعًا في السنغال، عزمت على كتابة هذه الرسالة وسميتها:
كشف الأستار عن حقيقة الموالد والاحتفالات في ديار السنغال;

موضحًا فيها حقيقة هذه الاحتفالات، ومُبِينًا خطرها على العقيدة والمجتمع، ثم مبيّنًا البديل الشرعي الصحيح في محبة النبي ﷺ، وهو الاتباع الصادق لسنته، والاهتداء بهديه، والسير على نهج أصحابه وأتباعه رضي الله عنهم أجمعين.

ظهور المولد عبر التاريخ

لم يكن المهاجرون والأنصار، ولا الذين جاؤوا بعدهم من أئمة الهدى في شتى الأمصار، في القرون الثلاثة المفضّلة التي زكّاها النبي ﷺ بقوله:«خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم....»[3] يعرفون شيئًا اسمه الاحتفال بمولد النبي ﷺ.

ولقد عاش الصحابة رضي الله عنهم وهم أصدقَ الناس حبًّا لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له؛ حتى إذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وبذلوا في سبيله المال والأهل والنفس، ومع ذلك لم يُنقل عنهم أنهم خصّصوا يوم مولده باجتماع أو عبادة أو طعام. وهم الذين أمرنا الله بسلوك سبيلهم، وجعل رضاه مقرونًا برضاهم، فقال جلّ شأنه:

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: 001]

وقال تعالى محذّرًا:

﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾

[النساء: 511]

وجاء في حديث صلح الحديبية الطويل : « ...فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ ، وَكِسْرَى ، وَالنَّجَاشِيِّ ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

3 روى البخاري (2652) ، ومسلم (2533) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

وَسَلَّمَ مُحَمَّدًا ، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا »[4]

فلو كان الاحتفال بمولده من علامات محبته، لسبقنا إليه الصحابة الكرام، إذ كان المقتضي قائمًا في زمانهم، ولم يكن هناك ما يمنعهم من إقامته:

قال حُذَيْفَةَ رضي الله عنه: « يا مَعْشَرَ القُرَّاءِ اسْتَقِيمُوا فقَدْ سَبَقْتُمْ سَبْقًا بَعِيدًا، فإنْ أخَذْتُمْ يَمِينًا وشِمالًا، لقَدْ ضَلَلْتُمْ ضَلالًا بَعِيدًا. »[5]

كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَسْأَلُهُ عَنِ الْقَدَرِ، فَكَتَبَ: «أَمَّا بَعْدُ، أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالِاقْتِصَادِ فِي أَمْرِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرْكِ مَا أَحْدَثَ الْمُحْدِثُونَ بَعْدَ مَا جَرَتْ بِهِ سُنَّتُهُ وَكُفُوا مُؤْنَتَهُ، فَعَلَيْكَ بِلُزُومِ السُّنَّةِ فَإِنَّهَا لَكَ ـ بِإِذْنِ اللَّهِ ـ عِصْمَةٌ، ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَبْتَدِعِ النَّاسُ بِدْعَةً إِلَّا قَدْ مَضَى قَبْلَهَا مَا هُوَ دَلِيلٌ عَلَيْهَا أَوْ عِبْرَةٌ فِيهَا، فَإِنَّ السُّنَّةَ إِنَّمَا سَنَّهَا مَنْ قَدْ عَلِمَ مَا فِي خِلَافِهَا مِنَ الْخَطَإِ وَالزَّلَلِ وَالْحُمْقِ وَالتَّعَمُّقِ، فَارْضَ لِنَفْسِكَ مَا رَضِيَ بِهِ الْقَوْمُ لِأَنْفُسِهِمْ، فَإِنَّهُمْ عَلَى عِلْمٍ وَقَفُوا، وَبِبَصَرٍ نَافِذٍ كَفُّوا، وَهُمْ عَلَى كَشْفِ الْأُمُورِ كَانُوا أَقْوَى، وَبِفَضْلِ مَا كَانُوا فِيهِ أَوْلَى، فَإِنْ كَانَ الْهُدَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ لَقَدْ سَبَقْتُمُوهُمْ إِلَيْهِ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ: مَا أَحْدَثَهُ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِهِمْ وَرَغِبَ بِنَفْسِهِ عَنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ هُمُ السَّابِقُونَ، فَقَدْ تَكَلَّمُوا فِيهِ بِمَا يَكْفِي، وَوَصَفُوا مِنْهُ مَا

4 أخرجه البخاري في «صحيحه» (2731)

5 أخرجه اليخاري في «صحيحه» (7282)

يَشْفِي، فَمَا دُونَهُمْ مِنْ مَقْصَرٍ، وَمَا فَوْقَهُمْ مِنْ مَحْسَرٍ، وَقَدْ قَصَّرَ قَوْمٌ دُونَهُمْ فَجَفَوْا، وَطَمَحَ عَنْهُمْ أَقْوَامٌ فَغَلَوْا، وَإِنَّهُمْ بَيْنَ ذَلِكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ، كَتَبْتَ تَسْأَلُ عَنِ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ فَعَلَى الْخَبِيرِ ـ بِإِذْنِ اللهِ ـ وَقَعْتَ، مَا أَعْلَمُ مَا أَحْدَثَ النَّاسُ مِنْ مُحْدَثَةٍ، وَلَا ابْتَدَعُوا مِنْ بِدْعَةٍ هِيَ أَبْيَنُ أَثَرًا وَلَا أَثْبَتُ أَمْرًا مِنَ الْإِقْرَارِ بِالْقَدَرِ، لَقَدْ كَانَ ذَكَرَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ الْجُهَلَاءُ يَتَكَلَّمُونَ بِهِ فِي كَلَامِهِمْ وَفِي شِعْرِهِمْ، يُعَزُّونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ عَلَى مَا فَاتَهُمْ، ثُمَّ لَمْ يَزِدْهُ الْإِسْلَامُ بَعْدُ إِلَّا شِدَّةً، وَلَقَدْ ذَكَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَيْرِ حَدِيثٍ وَلَا حَدِيثَيْنِ، وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْهُ الْمُسْلِمُونَ فَتَكَلَّمُوا بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ، يَقِينًا وَتَسْلِيمًا لِرَبِّهِمْ، وَتَضْعِيفًا لِأَنْفُسِهِمْ، أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ لَمْ يُحِطْ بِهِ عِلْمُهُ، وَلَمْ يُحْصِهِ كِتَابُهُ، وَلَمْ يَمْضِ فِيهِ قَدَرُهُ، وَإِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ لَفِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ: مِنْهُ اقْتَبَسُوهُ، وَمِنْهُ تَعَلَّمُوهُ، وَلَئِنْ قُلْتُمْ لِمَ أَنْزَلَ اللهُ آيَةَ كَذَا؟ لِمَ قَالَ كَذَا؟ لَقَدْ قَرَءُوا مِنْهُ مَا قَرَأْتُمْ، وَعَلِمُوا مِنْ تَأْوِيلِهِ مَا جَهِلْتُمْ، وَقَالُوا بَعْدَ ذَلِكَ: كُلُّهُ بِكِتَابٍ وَقَدَرٍ، وَكُتِبَتِ الشَّقَاوَةُ، وَمَا يُقْدَرْ يَكُنْ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ، وَلَا نَمْلِكُ لِأَنْفُسِنَا ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، ثُمَّ رَغِبُوا بَعْدَ ذَلِكَ وَرَهِبُوا»[6].

ولهذا قال أبو العباس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

«فإن هذا لم يفعله السَّلَفُ، مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا. ولو كان هذا خيرًا محضا، أو راجحًا لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا، فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيمًا له منا، وهم على الخير أحرص. وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره، وإحياء سنته باطنًا وظاهرًا، ونشر ما بعث به، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان. فإن هذه طريقة

6 [رواه أبو داود في «سننه» (4614) من حديث سفيان الثوري]

السابقين الأولين، من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان»[7]

إذا تقرّر ذلك، فاعلم ـ أرشدك الله لطاعته — أنّ الاحتفال بالمولد لم يُعرف إلا بعد القرون المفضّلة، حيث ظهر — كما نقله المؤرخون ـ في القرن الرابع الهجري على يد حكّام الدولة العبيدية الباطنية، الذين ابتدعوا أعيادًا شتى: مولد النبي ﷺ، ومولد علي، وفاطمة، والحسن، والحسين، واتخذوها وسيلة للهو والبطالة.[8]

ثم لما زالت دولتهم، وكُفي المؤمنون شرَّهم، وخبا سراجُ باطلهم، وضعف نشاطُ الصوفية بعدهم، وكاد الاحتفال بالمولد أن يندثر ويُطوى في غياهب الزمن؛ إذ بُعث من مرقده على يد نابليون بونابرت إبّان احتلاله لمصر، فرأى فيه وسيلةً ماكرةً لاستمالة العامة وتخدير الشعوب، فاتّخذه جسرًا للهيمنة، وأداةً لتمويه الحق بالباطل، فغدا المولد –بعد أن كان بدعةً محدثة– سلاحًا استعماريًّا يُستدرج به البسطاء،

---

7 اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم (2/123، 124)، بتحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب- بيروت، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م

8 انظر المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار للمقريزي (2/ 436)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1418

وقد ذكر كل من هؤلاء :والقلقشندي في «صُبْح الأعشى»(498/3) والسندوبي في «تاريخ الاحتفال بالمولد النبوي»(69) ومحمد بخيت في «حسن الكلام» (44) وعلي فكري في «محاضراته» (84) وعلي محفوظ في «الإبداع» (ص:126

و قيل أن أول من احتفل يمولد النبي الملك المظفر أبو سعيد الكوكبي المتوفى سنة 620 الهجري،وهو خطأ ظاهر

ويُستعبد به الضعفاء.[9]

ويا للعجب! عملٌ يزعم أصحابه أنه من محبّة النبي ﷺ، غفل عنه الصدّيق والفاروق وسائر الصحابة الأخيار، وسنّه الباطنية الزنادقة، ثم جدّد إحياءه كافر محتلّ! فأيّ وزنٍ له بعد هذا؟

ثم سرَت هذه العادة إلى بعض بلاد المسلمين، وأخذت صورًا شتّى، حتى صارت في بعض البيئات تُعتبر "شعيرة" من شعائر الدين، في حين أنّها لم تُشرع قط، لا في كتاب اللّٰه ولا في سنة رسوله ﷺ، ولا في عمل سلف الأمة.

9 انظر انظر: « تاريخ عجائب الآثار في التّراجم والأخبار للمؤرخ المصري عبد الرحمن بنن حسنالجبرتي « (2/201)، و:» مظهر التّقديس بزوال دولة الفرنسيس «لنفس المؤلف (ص47)

موقف العلماء من المو لد

وقد وقف العلماء المحققون عبر العصور موقفا حازما من هذه الظاهرة، فأنكروها بلسان البيان، وبينوا خطرها بوضوح البرهان ،وحذروا الأمة من غوائلها صيانة للتوحيد الخالص وحراسة لجانب السنة الطاهرة،و ذودا عن حياض الدين من كل دخيل و مبتدع:

قال الشيخ الإمام أبو حفص تاج الدين الفاكهاني رحمه اللّٰه . (ت 734 هـ) في رسالتهِ: المورد في حكم المولد:

«الحمد لله الذي هدانا لإتباع سيد المرسلين، وأيدنا بالهداية إلى دعائم الدين، ويسر لنا اقتفاء آثار السلف (الصالحين، حتى امتلأت قلوبنا بأنوار علم الشرع وقواطع الحق المبين، وطهر سرائرنا من حدث الحوادث والابتداع في الدين).

أحمده على ما منَّ به من أنوار اليقين، وأشكره على ما أسداه من التمسك بالحبل المتين، وأشهد أن لا إله إلا اللّٰه وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، سيد الأولين والآخرين، صلى اللّٰه عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، صلاة دائمة إلى يوم الدين.

أما بعد:

فقد تكرر سؤال جماعة من المُباركين عن الاجتماع الذي يعمله بعض الناس في شهر ربيع الأول، ويسمونه: المولد:

هل له أصل في الشرع ؟

وقصدوا الجواب عن ذلك مٌبيَّناً، والإيضاح عنه معيناً.

فقلت وبالله التوفيق:

لا أعلم لهذا المولد أصلاً في كتاب ولا سنة، ولا ينقل عمله

عن أحد من علماء الأمة(، الذين هم القدوة في الدين، المتمسكون بآثار المتقدمين، بل هو بِدعة أحدثها البطالون، وشهوة نفسٍ اغتنىبها الأكالون، بدليل أَنَّا إذا أدرناعليه الأحكام الخمسة قلنا:

إما أن يكون واجباً، أو مندوباً، أو مباحاً، أو مكروهاً، أو محرماً.

وهو ليس بواجب إجماعاً، ولا مندوباً؛ لأن حقيقة المندوب: ما طلبه الشرع من غير ذم على تركه، وهذا لم يأذن فيه الشرع، ولا فعله الصحابة، ولا التابعون ولا العلماء المتدينون- فيما علمت- وهذا جوابي عنه بين يدي الله إن عنه سئلت.

ولا جائز أن يكون مباحاً؛ لأن الابتداع في الدين ليس مباحاً بإجماع المسلمين.

فلم يبق إلا أن يكون مكروهاً، أو حراماً، وحينئذٍ يكون الكلام فيه في فصلين، والتفرقة بين حالين:

أحدهما: أن يعمله رجل من عين ماله لأهله وأصحابه وعياله، لا يجاوزون في ذلك الاجتماع على أكل الطعام، ولا يقترفون شيئاً من الآثام: فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة، الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام، سُرُجُ الأزمنة وزَيْن الأمكنة.

والثاني: أن تدخله الجناية، وتقوى به العناية، حتى يُعطي أحدهم الشيء ونفسه تتبعه، وقلبه يؤلمه ويوجعه؛ لما يجد من ألم الحيف([، وقد قال العلماء رحمهم الله تعالى: أخذ المال بالحياء كأخذه بالسيف، لاسيما إن انضاف إلى ذلك شيء من الغناء مع البطون الملأى بآلات الباطل، من الدفوف والشبابات واجتماع الرجال مع الشباب المرد، والنساء الفاتنات، إما مختلطات بهم أو مشرفات، والرقص بالتثني

والانعطاف، والاستغراق في اللهو ونسيان يوم المخاف،

وكذا النساء إذا اجتمعن على انفرادهن رافعات أصواتهن بالتهنيك، والتطريب في الإنشاد، والخروج في التلاوة والذكر عن المشروع والأمر المعتاد، غافلات عن قوله تعالى:

﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴾ [سورة الفجر:41].

وهذا الذي لا يختلف في تحريمه اثنان، ولا يستحسنه ذوو المروءة الفتيان، وإنما يَحِلُّ ذلك بنفوس موتى القلوب، وغير المستقلين من الآثام والذنوب، وأزيدك أنهم يرونه من العبادات، لا من الأمور المنكرات المحرمات، فإن لله وإنا إليه راجعون، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ.

ولله در شيخنا القشيري(28) حيث يقول فيما أجازَناه:

قد عرف المنكر واستنكر الـ — ـمعروف في أيامنا الصعبة

وصـار أهـل العلم في وهدة — وصار أهل الجهل في رتبة

حـادوا عن الحـق فما للذي — سادوا به فيما مضى نسبة

فقلت للأبـرار أهـل التـقى — والـدين لما اشتدت الكربة

لا تنكـروا أحوالكـم قد أتت — نـوبتكـم(في زمن الغـربـة

ولقد أحسن أبو عمرو بن العلاءرحمه الله تعالى حيث يقول: لا يزال الناس بخير ما تعجب من العجب، هذا مع أن الشهر الذي ولد فيه النبي ﷺ وهو ربيع الأول- هو بعينه الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه.

وهذا ما علينا أن نقول، ومن الله تعالى نرجو حسن القبول »

قال ناقله الفقير إلى الله:

هذا ردٌّ جليٌّ قاطع على كل من زعم أنّ إنكار الاحتفال بمولد النبي ﷺ إنما هو من صنيع طائفة مخصوصة يُسمَّون زورًا

وبهتانًا بـ "الوهابية"، والحقيقة أن علماء الأمة ـ قديمًا وحديثًا ـ لم يزالوا يُحذِّرون من هذه البدعة منذ ظهورها، ويُبيِّنون للناس الموقف الحقّ، ويجلّون لهم المعيار الشرعي الصحيح في النظر إليها

وقال ابن الحاج المالكي (ت 737هـ):

فإن خلا ـ أي المولد ـ منه ـ أي من السماع وتوابعه ـ وعمل طعاما فقط ، ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان ، وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط ، إذ إن ذلك زيادة في الدين ليس من عمل السلف الماضين ، وإتباع السلف أولى ، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه ، لأنهم أشد الناس اتباعاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتعظيما له ولسنته صلى الله عليه وسلم ، ولهم قدم السبق في المبادرة إلى ذلك ، ولم ينقل عن أحد منهم أنه نوى المولد ، ونحن لهم تبع ، فيسعنا ما وسعهم ، وقد علم ان إتباعهم في المصادر والموارد ، كما قال الشيخ أبو طالب المكي ـ رحمه الله ـ في كتابه .

وقد جاء في الخبر : (لا تقوم الساعة حتى يصير المعروف منكراً والمنكر معروفاً) ، وقد وقع ما قاله عليه الصلاة والسلام بسبب ما تقدم ذكره وما يأتي بعد ؛ لأنهم يعتقدون أنهم في طاعة ، ومن لا يعمل عملهم يرون أنه مقصر ، فإنا لله وإنا إليه راجعون »[10]

قال مقيِّده عفا الله عنه:

« لو أنَّ ابن الحاج ـ رحمه الله ـ قُدِّر له أن يعيش في السنغال في زماننا هذا، لرمته طوائف القبوريين بالبغضاء لرسول اللهﷺ،

10 المدخل (2/312)

ولصنَّفوه مع من يزعمون أنهم "يحاربون الإسلام« وما هم في الحقيقة إلا أحقّ الناس بهذه التهمة: أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »

فيا للهِ ما أعظمها من مصيبةٍ أظلّت الأمّة، وما أشنعها من بدعةٍ زخرفها الشيطان وزيَّنها في أعين أقوامٍ غافلين! فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإليه المفزع في كشف البلاء، وعنده وحده النجاة من غوائل الأهواء

وإذا تبيَّن لك ما سلف، فاعلم ـ بصَّرك الله بالحق وهدانا وإياك سواء السبيل ـ أن المستفاد من النقولات السابقة أن العلماء قد قسَّموا أمر المولد إلى قسمين:

قسمٌ خلا من المحرَّمات الظاهرة، كاجتماعٍ عابر على ذكر أو موعظة، وهذا مع كونه بدعةً محدثة لم يُعرف لها أصل في الشرع، أهونُ من غيره.

وقسمٌ اجتمع فيه المحرَّم مع البدعة، كالغلوّ، والاختلاط، والرقص، والإسراف، وارتكاب ما لا يرضاه الله ولا رسوله ﷺ، فهذا لا يشك ذو عقلٍ في قبحه، ولا يختلف اثنان في تحريمه.

وإنّ أكثر ما يُرى في بلدنا اليوم من مظاهر الاحتفال بالمولد إنما هو من هذا النوع الثاني الممزوجِ بالمحرَّمات، الذي يجرّ على الناس فسادًا في العقيدة، وانحرافًا في السلوك، وضياعًا للمعاني الصحيحة لمحبة النبي الكريم ﷺ.

وفي شأن القسم الأول – الذي خَلا من المحرَّمات الظاهرة، واقتصر على مجرّد الاجتماع والطعام والذِّكر،قال ابن الحاجب

« فإن خلا ـ أي المولد ـ منه ـ أي من السماع وتوابعه ـ وعمل طعاما فقط ، ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان ، وسلم من كل

ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط... »

وهو -رحمه الله- في ذلك يوافق قولَ الفاكهاني السابق الذِّكر، إذ كلاهما صرّح بأن المولد لا أصل له في الشرع المطهَّر، ولا يُستند فيه إلى كتابٍ ولا إلى سنة، وإنما هو مُحدثات زيَّنها الشيطان في قلوب أقوامٍ، فغلب عليهم الهوى، واستحسنوا ما لم يُشرِّعه المصطفى ﷺ.

فكأنّ ابن الحاج يُعيد صدى الفاكهاني، ويجري على منهاجه البياني؛ فالأول أنكر ما أحدثه الناس من صور المولد وعوائدِه، والثاني أبطل أصلَه وبيّن فسادَ مقاصده. فاتفقت كلمتُهما على أن هذه المحدثة من جنس ما حذّر منه النبي ﷺ بقوله: «كل بدعة ضلالة» : « قال الفاكهاني : فهذا الذي وصفناه بأنه بدعة مكروهة وشناعة ، إذ لم يفعله أحد من متقدمي أهل الطاعة ، الذين هم فقهاء الإسلام وعلماء الأنام ، سُرُجُ الأزمنة وزَيْن الأمكنة »

قال الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ في رسالته : حكم الاحتفال بالمولد والرد على من أجازه: « هذا ما بينه المحققون في هذا النوع من المولد .

وقد حاول السيوطي في رسالته « حسن المقصد في عمل المولد » الرد على ما نقلناه عن الفاكهاني ، لكنه لم يأت بشيء يقوى على معارضة ما ذكره الفاكهاني ؛ فإنه عارضه بأن الاحتفال بالمولد النبوي إنما أحدثه ملك عادل عالم قصد به التقرب إلى الله ، وارتضاه ابن دحية ، وصنف له من أجله كتاباً وهذا ليس بحجة ؛ فإن البدعة في الدين لا تقبل من أي أحد كان بنصوص الأحاديث ، فلا يمكننا أن نعارض الأحاديث المحذرة من الابتداع في الدين بعمل أبي سعيد كوكبري بن أبي الحسن علي بن بكتكين الذي أحدث الاحتفال بالمولد في

القرن السادس ، وعدالته لا توجب عصمته .

وقد ذكر ابن خلكان أنه يحب السماع ، وأما ابن دحية فلا يخفى كلام العلماء فيه ، وقد اتهموه بوضع حديث في قصر صلاة المغرب كما في تاريخ ابن كثير .»

ومن هذا المنوال نسج الإمام الشوكاني –رحمه الله– رسالته النفيسة في حكم المولد، فبيّن فيها أنه بدعة محدَثة، وردّ على من جوّزه بشواهد الشرع وقواطع البرهان. ورغم قِصرها، فهي جليلة القدر عظيمة النفع، تزن بالمطوّلات وزنًا، وتُغني عن كثير من المجلّدات بيانًا. ولو لا خشية الإطالة وابتعاد المقال عن غايته لنقلناها بتمامها، لما حوته من دررٍ ثمينة ومعانٍ رصينة.

قال –رحمه الله– في مطلعها:

« لم أجد إلى الآن دليلاً يدل على ثبوته من كتاب، ولا سنة، ولا إجماع، ولا قياس، ولا استدلال؛ بل أجمع المسلمون أنَّه لم يوجد في عصر خير القرون، ولا الذين يلونهم ولا الذين يلونهم، وأجمعوا أن المخترع له السلطان -الكردي- المظفر أبو سعيد كوكبوري بن زين الدين علي سبكتكين صاحب أربل »[11]

قال كاتب هذه الحروف –غفر الله له ولوالديه–:

إن ما أورده الإمام الشوكاني –رحمه الله– من زعمه أن « أول من أحدث المولد السلطان المظفر أبو سعيد كوكبوري »، فيه نظرٌ لا يخفى على أهل البصيرة، وقد نَبَّه على ذلك غيرُ واحدٍ من نقّاد التحقيق وأرباب التحرير والتدقيق.

فقد اتفق جمعٌ من المؤرخين – وفي طليعتهم المقريزي

11 هو جواب عن سؤال ورد في المجموع: الفتح الرباني في فتاوىً الشوكاني (1087/2)

ومن جرى مجراه- على أنّ أوّل من سنّ هذه البدعة هم العبيديون الفاطميون، الذين أفسدوا على الإسلام نقاءه، وأدخلوا في الدين ما ليس منه، فأورثوا الأمةَ شرورًا جسيمة وبدعًا عظيمة.

وأما السلطان المظفر ،فقد سبقه إلى الاحتفال بالمولد غيره ، بعد أن كان العبيديون الفاطميون قد سنوا هذه البدعة من قبل ،فليس هو أول من ابتدعها ،و إنما تابع من سبقه و قدُ نصَّ أبو شامةً المقدسُي في كتابه « الباعث على إنكار البدع والحوادث » على أن المبتدع الأول هو الشيخ عمر بن محمد الملّا، فاقتفى أثره السلطان المظفر بعد ذلك، وجرى على سننه. ووافقه على هذا سبط ابن الجوزي في «مرآة الزمان»، فكان النقل متواطئًا، والدليل متضافرًا، والشاهد متكاثرًا.[12]

ولم يفت الشيخ صالح العصيمي -حفظه الله- أن يجلّي هذا الغلط في تطريزه على رسالة الشوكاني، فأبان وجه الصواب، ورفع عن النصِّ الحجاب، فليُراجع من أراد البيان الشافي، ففيه ما يُغني عن التطواف الكافي.

وإنما اقتصرنا على ذكر هؤلاء الأعلام في مقام الاختصار، وإلا فالعلماء الذين ذمّوا هذه البدعة وحذّروا من شرّها كثيرون لا يُحصَون، وعددُهم يفوق العدَّ والإحصاء، وأقوالهم في ذمِّها تتردد في الآفاق أصداءً.

12 الباعث...(ص13)؛مرآت... (8/310)

المولد في السنغال بين الغلو والعاطفة

لقد لبّس الشيطان على كثيرٍ من بني جلدتنا، فأوهمهم أن المحبّة الصادقة لسيّد ولد آدم ﷺ لا تكون إلا باحتفالٍ بيوم مولده؛ ذاك اليوم الذي اختلفت فيه الروايات وتعدّدت فيه الأقوال، ثم جزموا -بلا بيّنة- أنه الثاني عشر من ربيع الأول، وهو نفس اليوم الذي توفّي فيه النبي ﷺ بلا خلاف[13]

فجاءهم إبليسُ مزوّقًا لباطله، يزيّن لهم بدعتهم بلسان شيوخهم قائلاً: أليس في ذلك ذكرٌ وصلاةٌ عليه؟ فغفلوا عن أن الشرع لم يُخصِّص هذا اليوم لهذه العبادة، وأنهم أضافوا على ذلك اليوم فضلاً لم يُعطه الله، حتى فضّله بعضهم على ليلة

13 " قال الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في البداية والنهاية (الجزء الثاني، باب مولد الرسول ﷺ)، بعد أن ساق الخلاف في شهر مولده، ونقل قول الجمهور أنه وُلد في ربيع الأول:

قيل لثمان خلون منه، حكاه الحميدي، عن ابن حزم، ورواه مالك، وعقيل، ويونس بن يزيد، وغيرهم، عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، ونقل ابن عبد البر عن أصحاب التاريخ أنهم صححوه، وقطع به الحافظ الكبير محمد بن موسى الخوارزمي، ورجحه الحافظ أبو الخطاب ابن دحية في كتابه (التنوير في مولد البشير النذير)

وقيل: لعشر خلون منه، نقله ابن دحية في كتابه، ورواه ابن عساكر عن أبي جعفر الباقر، ورواه مجالد عن الشعبي كما مر.

وقيل: لثنتي عشرة خلت منه، نص عليه ابن إسحاق، ورواه ابن أبي شيبة في (مصنفه) عن عفان، عن سعيد بن مينا، عن جابر وابن عباس أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثامن عشر من شهر ربيع الأول، وفيه بعث، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات، وهذا هو المشهور عند الجمهور والله أعلم

القدر، تقليدًا لأناس ضلّوا، ومخالفةً لصريح القرآن والسنة.[14]

فانتهى الأمر إلى أن كلّ من أراد أن يناصحهم بحجّةٍ واضحةٍ وبراهينَ ساطعة، قابلوه بأدلّة واهية وعواطف خاوية، ورموه بالويل و إحدى الكبر.

غير أنّ الحقَّ أبلج، والباطلَ لَجْلَج؛ فمحبّة النبي ﷺ ليست دموعًا تُذرف، ولا أناشيدَ تُردَّد، ولا مدائحَ تُتلى، ولكنها صدقُ اتّباع، ولزومُ ما شرع الله ورسوله، والتشبّثُ بسنّته ظاهرًا وباطنًا.

وإنّ محبّة الرسول ﷺ إنما هي فرعٌ عن محبّة الله تعالى، فلا يكون المرء محبًّا لرسوله حقًّا حتى يحبَّ الله، ولا يبلغ ذروةَ محبّة الله حتى يتّبع رسوله؛ مصداقًا لقوله سبحانه:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 13]

قال ابن كثير: هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله ، وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر ، حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد » ولهذا قال : (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله)أي : يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه ، وهو محبته إياكم ، وهو أعظم من الأول ، كما قال بعض الحكماء العلماء : ليس الشأن أن تحب ، إنما الشأن أن تحب ، وقال الحسن البصري وغيره من السلف : زعم قوم

---

14 والمشارُ إليه هنا هو الشيخ إبراهيم نياس –أحدُ زعماء الطريقة التيجانية في السنغال–، وقد صدر عنه هذا القول في تسجيلٍ صوتي منشورٍ على بعض القنوات،

أنهم يحبون الله فابتلاهم الله بهذه الآية ، فقال:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: 31][15]

فمن لم يقتد بالنبي ﷺ في عباداته وأخلاقه، فلن تنفعه صيحات الإنشاد ولا موائد الطعام التي تُقام باسم المولد

١٥ تفسير ابن كثير آل عمران :31

الطقوس والممارسات في المولد

إذا أطلَّ هلالُ ربيعِ الأوّل، اضطربت بعضُ المدن والقرى في السنغال بحركةٍ غيرِ معهودة، واستعدَّ الناسُ لاحتفالاتٍ يُسمّونها في لسانهم المحلي «غَمّو»، ويُعنون بها مولد النبي ﷺ. فتراهم يتسابقون في التجهيز والتزيين، ويتهيّأون لمواسم اعتادوا عليها حتى صارت عند كثيرٍ منهم أشبه بالشعائر.

ومن أبرز ما يظهر في هذه المواسم:

1. التجمّعات الكبيرة: حيث يحتشد الرجال والنساء في الساحات والميادين، حتى تغصّ بهم الطرقات وتُرفع الشعارات.

2. الإنشاد الجماعي: فترتفع الأصوات بالقصائد والمدائح، ويتخللها في بعض المواطن ضربُ الدفوف والطبول.

3. التوسّل بالأولياء: إذ تُوجَّه كثير من الأناشيد والقصائد لا إلى النبي ﷺ فحسب، بل إلى شيوخ الطرق الصوفية، طلبًا للبركة والشفاعة.

4. الموائد الضخمة: فتُذبح الذبائح، وتُعدّ الأطعمة الفاخرة، ويُنفق في ذلك من الأموال ما لو وُجّه إلى التعليم أو العلاج أو الصدقات الجارية لكان أنفع للأمة وأبقى أثرًا.

5. اختلاط الرجال والنساء: وهو مشهد يتكرّر في بعض المناطق، فيفتح أبواب الفتنة والفساد

الآثار السيئة للاحتفال بالمولد في السنغال

الآثار العقدية:

لقد كان من أعظم ما جرّه الاحتفال بالمولد على المسلمين أنّه زاحم التوحيد الخالص، وأفسد صفاء العقيدة بالغلو والشركيات. فإنّ كثيرًا من الأناشيد التي تُتلى في ليالي المولد قد امتلأت بعبارات الاستغاثة بالنبي ﷺ، وطلب تفريج الكربات وقضاء الحاجات منه، بل تجاوز بعضهم ذلك إلى التوجّه بالأدعية والطلبات إلى شيوخ الطرق وأصحاب الأضرحة، نسأل الله العافية.

ومثال ذلك ما يجري في مدينة تيواوُن –معقل الطريقة التيجانية في السنغال– حيث يُستقبل شهر ربيع الأول بقراءة قصيدة البوصيري المعروفة بـ"البُردة". وهي قصيدة اشتهرت بين الناس حتى صارت تُقرأ في المحافل والليالي، غير أنّها قد اشتملت على أبياتٍ ظاهرها الغلو في حق النبي ﷺ، حتى جاوزت حدود المشروع، ونُسبت إليه أوصاف لا تليق إلا برب العالمين جلّ وعلا. ولذا لم يزل جماعة من أهل العلم ينقدونها ويحذّرون منها، لما فيها من الألفاظ الموهمة للشرك والضلال.

فبهذا يتبيّن أنّ هذه الاحتفالات لم تقف عند حدود المظاهر العاطفية، بل تعدّتها إلى ما يقدح في أصل الدين، وهو التوحيد الذي بعث الله به الرسل جميعًا

قال الإمام الشوكاني: رحمه الله: « فانظر -رحمك الله تعالى- ما وقع من كثير من هذه الأمة من الغلو المنهي عنه المخالف لما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم كما

يقوله صاحب البردة رحمه الله:

يا أكرم الخلق ما لي من ألوذ به *** سواك عند حلول الحادث العمم

فانظر كيف نفى كل ملاذ ما عدا عبد الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وغفل عن ذكر ربه ورب رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنا لله وإنا إليه راجعون. وهذا باب واسع، قد تلاعب الشيطان بجماعة من أهل الإسلام حتى ترقوا إلى خطاب غير الأنبياء بمثل هذا الخطاب، ودخلوا من الشرك في أبواب بكثير من الأسباب. ومن ذلك قول من يقول مخاطبًا لابن عجيل:

هات لي منك يا ابن موسى إغاثة *** عاجلًا في سيرها حثاثة

فهذا محض الاستغاثه التي لا تصلح لغير الله، لميت من الأموات قد صار تحت أطباق الثرى من مئات السنين. وقد وقع في البردة والهمزية شيء كثير من هذا الجنس، ووقع أيضًا لمن تصدى لمدح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ولمدح الصالحين والأئمة الهادين ما لا يأتي عليه الحصر، ولا يتعلق بالاستكثار منه فائدةٌ، فليس المراد إلا التنبيه والتحذير لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد»[16]

وحتى الشيخ الصوفي عبد الله الغماري الشاذلي الأشعري المشهور بعداوته للسلفيين أحد المراجع عند الصوفية المتأخرين فقد نقد بعد أبيات البردة قال:

« من جودك الدنيا وضرتها *** ومن علومك علم اللوح والقلمِ

وفي هذا مُبالغة لا دليل لها، ويظهر أن الناظم استند في الشطر الأول من البيت إلى حديث جابر: « أول ما خلق الله نور

16 الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص: 59-60).

نبيك يا جابر » وهو حديث طويل جاء فيه: أن الله خلق من نوره صلى الله عليه وسلم العرش والكرسي والملائكة وجميع المخلوقات، وقد ذكره بطوله ابن العربي الحاتمي في كتاب (تلقيح الأذهان ومفتاح معرفة الإنسان) والدياربكري في (تاريخ الخميس من تاريخ أنفس نفيس) في السيرة. وقال السيوطي في الحاوي: إنه غير ثابت. وهو تساهل قبيح، بل الحديث ظاهر الوضع واضح النكارة، وفيه نفس صوفي حيث يذكر مقام الهيبة ومقام الخشية، إلى آخر مصطلحات الصوفية. والعجيب أن السيوطي عزاه إلى عبد الرزاق مع أنه لا يوجد في مُصنفه، ولا تفسيره، ولا جامعه. وأعجب من هذا أن بعض الشناقطة صدَّق هذا العزو المخطئ، فركَّب له إسنادًا من عبد الرزاق إلى جابر! ويعلم الله أن هذا كله لا أصل له... -إلى أن قال:- والشطر الثاني من البيت لعل الناظم استند فيه إلى حديث اختصام الملأ الأعلى الذي رواه أحمد. لكنه لا يُفيد ما ادعاه الناظم من أن علم اللوح والقلم من بعض علوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ففي هذه الدعوى مبالغة ليس عليها دليل. وقد أصلحت هذا البيت بقولي:

فإن جودك في الدنيا وضرتها *** وفي كتابك علم اللوح والقلم

والمقصود أن الغلو في المدح مذموم لقوله تعالى: ﴿...لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ...﴾ [النساء: 171]، وأيضًا فإن مادح النبي صلى الله عليه وسلم بأمرٍ لم يثبت عنه يكون كاذبًا عليه، فيدخل في وعيد: «من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار»، وليست الفضائل النبوية مما يُتساهل فيها برواية الضعيف ونحوه لتعلقها بصاحب الشريعة»[17]

17 ملحق قصيدة البردة (ص: 7).

قال ناقل هذه الحروف -غفر الله له ولوالديه-:

إنّ هذه النقولات التي سبقتِ الإشارة إليها إنما استفدتُها من بحثٍ نفيسٍ أعدَّه الباحث علاء حسن إسماعيلي، الموسوم بـ: «دعوى تلقي البُردة بالقبول، وانفراد علماء نجد بنقدها: تحليل ونقاش».

وقد كان بحثًا جليلًا محكمًا، جمع فيه مادته، وحرّر مسائله، وبسط القول في مواضع الإشكال، فكان فيه من النفع ما يُشكر، ومن البيان ما يُذكر. فجزى الله مؤلِّفه خير الجزاء، ونفع به العباد والبلاد

ومما ابتُلي به كثير من الناس في مواسم الموالد، ما يقترفونَه من شدِّ الرحال إلى قبور مشايخهم وأضرحتهم، يظنّون في ذلك القربة، وهو من أبعد ما يكون عن السنة الصحيحة والهدي القويم. وقد نهى النبي ﷺ عن مثل هذا الصنيع نهيًا صريحًا قاطعًا، فقال فيما صح عنه:

«...لا تُشَدُّ الرِّحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» [متفق عليه].[18]

فأين هؤلاء من هدي نبيهم؟! وأيُّ شبهة تبقى بعد هذا النص الواضح؟! إنما هو اتباع هوى، وتقليد عُميان، قد زيّنه الشيطان لأقوام، فخالوه هدى ورحمة، وهو في حقيقته ضلال وفتنة.

ولو أنّ الأمر اقتصر على مجرّد شدّ الرحال لكان الخطب أهون، ولكن ـ ويا للأسف ـ جلّ زياراتهم لتلك الأضرحة زيارات شركيّة، تُرى فيها الأكفّ ممدودة، والألسن بالدعاء مترنّمة، والأيدي بالجدار متبرّكة، والعيون بالخشوع دامعة. هنالك تحقّق على القوم وَعْدُ إبليس، فأغواهم بزينته، وأضلّهم بأُمنِيّته، فاتّبعوه

18 أخرجه البخاري (1864) من حديث أو سعي الخدري

إلا قليلًا منهم، ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾. فالله المستعان، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وبعد ذلك كيف لعاقلٍ غيورٍ على دينه، مُعظِّمٍ لنبيّه، ناصحٍ لقومه، أن يهجم على من يُحذِّر من بدعة المولد في بلادنا؟! و كيف يتهمهم بالغلو، متذرِّعًا بإنصافٍ يزعمه، ومستندًا إلى خلافٍ موهومٍ يدّعيه، وهو إلى السنّة ينتسب ؟

واللهِ، لو كان منصفًا حقًّا، متحلِّيًا بالحكمة، متَّصفًا بالفقه، لعلم أنَّه لو فُرض أصلُ الاحتفال مشروعًا أو مستحبًّا، فإنّ ما طرأ عليه من المنكرات الظاهرة، والمخالفات الفاجرة، كافٍ وحده لتحريمه، وموجبٌ لصدّ الناس عنه، سدًّا لذريعة الشرّ والفتنة.

ولكن، واأسفاه! كم من مدّعٍ للإنصاف وهو إلى الجَور أقرب، وكم من متزيٍّ بزيِّ العلم وهو في الجهل أنسب.

أيا مدّعي الفهم، إلى متى تمضي في الوهم؟

أما آن أن ينكشف الغطاء، ويظهر الحقّ للضياء

الآثار الاجتماعية

اعلم رحمك الله : أنّ من تأمّل حال هذه الاحتفالات، علم أنّها لم تَجنِ على الأمّة إلا الوهن والانقسام، وأنّ أضرارها أضعاف ما يُتوهم من منافعها، ومن ذلك:

أوّلًا: إشعال العصبيّات الطُرُقيّة.

فكلٌّ طريقةٍ تُريد أن تُظهر كثرتها وتفاخر بقوّتها، فيتعصّب المريدون لمشايخهم أكثر من تعصّبهم لسنّة نبيّهم ﷺ، ويُقدَّم الولاء للشيخ على الاتّباع للرسول، وذلك من أعظم الفتن.

ثانيًا: إضاعة الأموال.

فيا للأسف! تُبذل الأموال الطائلة في المواكب والزينة والمآدب، ولو أنّها وُجِّهت لتعليم جاهل، أو تطبيب مريض، أو إغاثة ملهوف، لكان خيرًا للأمّة وأبقى للأجر.

ثالثًا: زرع الانقسام بين المسلمين.

إذ يرى قوم أنّ المولد عبادة وقربة، بينما ينكره آخرون اتباعًا للسنّة، فتثور الخصومات، وتشتعل الشحناء، ويقع الجدال، فيتمزّق الصفّ، وتضعف الجماعة، وتذهب ريح الأمّة.

رابعًا: الانشغال عن الواجبات.

فما أكثر الذين يسهرون لليالي المولد في الأناشيد والطبول، فإذا طلع الفجر، ثقلت عليهم الصلاة، وضاعت أوقاتهم فيما لا يُغني، وتُركت الفرائض التي افترضها الله

الآثار الأخلاقية والسلوكية لاحتفالات المولد

إذا تقرر ما سبق فاعلم وزادك اللّٰه حلما أن ما كان يُظنّ أن يُتَّخذ يومُ مولد النبي ﷺ ـ سببًا للارتقاء بالأخلاق، فإذا به في كثير من المواطن يصبح مدخلًا للفساد والانحراف، ومن ذلك:

أوّلًا: اختلاط الرجال بالنساء.

وفي بعض المناطق ترى الصفوف متقابلة، والأبصار متلاحقة، فتُفتح أبواب الفتنة، ويُستدرَج القلب إلى ما يُغضب اللّٰه.

ثانيًا: شيوع اللهو والرقص.

تُقرع الطبول، وتُضرب الدفوف، ويتمايل الحضور طربًا، بحجّة الفرح بمولد النبي ﷺ، حتى يغيب عن القلوب خشوع العبادة، ويحلّ محلّه طيش ولهو، وما كان ذلك سبيل المحبّين الصادقين.

ثالثًا: التعلّق بالخرافات والكرامات المزعومة.

يُحدّث القوم بعضهم بعضًا بقصص وأوهام، ويُشيعون حكايات ما أنزل اللّٰه بها من سلطان، فينشغل الناس بها عن العلم النافع والعمل الصالح، وينصرفون عن الوحيين إلى الأساطير.

رابعًا: الكسل عن الطاعات الحقيقيّة.

إذ يرى كثيرون أنّ حضور المولد يكفيهم عن متابعة السنن، فيتركون قراءة القرآن، ويهجرون قيام الليل، ويغفلون عن صلاة الجماعة، وكأنّهم قد اشتروا الجنّة بحضور ليلة واحدة.

جمعه أخوكم محمد الفاضل المعروف بمعاذ السنغالي أصلا

والفرنسي موطنا، وبالله التوفيق و إليه الملاذ وهو المستعان وبه المستعاذ.

الخاتمة

اعلم ـ رحمني الله وإيّاك ـ أنّ المحبّة في ميزان الشرع ليست شعاراتٍ تُرفع، ولا أهازيجَ تُنشد، ولا دموعًا تُذرف، وإنما هي طاعةٌ صادقة، واتباعٌ كامل، ورضًا بما جاء به النبي ﷺ.

قال الله تعالى:

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: 13]

فجعل اللهُ تعالى علامةَ المحبّة الاتّباع، وجعل ثمرتها محبّةَ الله وغفران الذنوب. فكلُّ طريقٍ للمحبّة لا يقوم على الاتّباع فهو وهمٌ وسراب، وخيالٌ كاذبٌ لا يورث صاحبه إلا الحسرة والخذلان.

وللمحبّة صورٌ جليلة، من أتى بها نال التقى، ومن تمسّك بها فاز بالرِّضا:

-اتباع سنّته ﷺ في صغير الأمور وكبيرها؛ في العبادات والمعاملات، في الأخلاق والسلوك.

-الإكثار من الصلاة والسلام عليه، كما قال المصطفى: «من صلّى عليّ واحدة صلّى الله عليه بها عشرًا»[١٩]

-تعظيم سنّته والدفاع عنها، وردّ الشبهات والافتراءات التي يثيرها أعداء الإسلام.

-تعلّم سيرته العطرة، والتأمّل في مواقفه المضيئة في الصبر والجهاد والدعوة.

---

١٩ [رواه مسلم]

-نشر علمه وهديه بين الناس، وتعليم الأجيال أن المحبّة لا تكون بالاحتفال بل بالاقتداء.

-التحاكم إلى شريعته، وتقديم قوله على كل قول، وشرعه على كل عادة أو تقليد.

فالمحبّة ـ يا رعاك الله ـ ليست بالزينة ولا بالهتاف، وإنما بالصدق والوفاء، وبالمتابعة والاقتداء، وبالعمل بما جاء به من الوحي والهدى

أسأل الله العظيم، ربّ العرش الكريم، أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، نافعًا لكاتبه وقارئه، وأن يردّ به الأمّة إلى السنة ردًّا جميلاً، ويجنّبها البدعة وشرورها، وأن يرزقنا محبّة نبيّه المصطفى ﷺ، واتباعه ظاهرًا وباطنًا، قولًا وعملًا، سرًّا وجهارًا.

إنه وليّ ذلك والقادر عليه، لا ربّ غيره ولا إله سواه.

وصلى الله وسلم وبارك على سيّدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

جمعه أخوكم محمد الفاضل المعروف بمعاذ السنغالي أصلا والفرنسي موطنا، وبالله التوفيق و إليه الملاذ وهو لمستعان وبه المستعاذ.